وأنا واحد منهم

عملنا معاً في مكتب واحد سنتين، مر يوم أو يومان أول تسلمها العمل معي في المكتب، وهي لا تتكلم، ولكن ما إن بدأت الحديث معها، أذكر أني سألتها عن سبب انتقالها إلى العمل في مديريتنا، حتى انطلقت في أحاديث لا أول لها ولا آخر، كأني أطلقت عفريتاً من قمقم، سنتان وأحاديثها لا تنتهي، حتى إنها كانت تترك العمل لتتكلم، في البدء سررت بأحاديثها، لا أعرف كيف تجد كل هذه المادة للحديث، هي مسلية من غير شك، تتثنى وتتمايل، وتشير بأناملها، وتلون صوتها، تقلد وتمثل، أسأل نفسي أحياناً ألا يجف ريقها؟ ألا تتعب، أحياناً أتسلى بحديثها، فأشبهها بعصفورة ناعمة صغيرة تزقزق، وأحياناً أملّ منها، ولا سيما عندما تعيد عليَّ حكاية قديمة، فأشبهها بدجاجة تقوقي وتقرقر، أكثر أحاديثها كانت عن خطابها، تقدم إليها قاض فرفضته، لأنه لا يملك شقة خاصة به، تقدم إليها طبيب، فاعتذرت، هي لا تحب رائحة الدواء، تقدم إليها صيدلي، فاعتذرت أيضاً، تقدم إليها تاجر كبير، لكنها رفضته لأنه غير مثقف، تقدم إلى خطبتها أستاذ

جامعي فرفضت، لأنه متقدم في العمر، تقدم إلى خطبتها مدير معمل، في كل يوم تأتيني بخبر جديد عن خطيب جديد، هذا يرسل أمه، ذاك يأتي بنفسه يحمل الهدايا، ثالث يستقبله والدها يقيم له مأدبة عشاء فخمة، رابع يدعوها مع جميع أفراد الأسرة إلى أفخم مطعم في البلد، ولكنها تعتذر، بعد سنتين تم نقلي إلى مديرية أخرى، ارتحت منها، ولكن لا أنكر أنني اشتقت إلى أحاديثها، منذ يومين، وقد مرت خمسة أشهر على انتقالي التقيت في الشارع مصادفة بزميلي الذي حل محلي في المكتب، وقبل أن أساله عنها، قال لي: لا أكاد أصدق أن تتقدم أنت إلى خطبة زميلتك في العمل، هل نسيت أنك أكبر منها بعشرين عاماً، وأنك أب لخمسة أولاد، وزوجتك من أكثر نساء الأرض لطفاً ووفاء؟؟